هل المرأة مثل الكلب والحمار ؟

عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطئ "

درسنا اليوم عن عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطئ " . حين يطالع المسلم سيرة بنت الشاطئ يثلج صدره وتقر عينه ، حيث إنها كانت عالمة مسلمة متقنة ، وكانت منارة في طريق العلم ، وعلامة مضيئة للمرأة المسلمة المعاصرة تُمثل نموذجاً فريداً للمرأة المسلمة في القرن العشرين ، لا وزنها الثقافي والعلمي فهي سيدة عرفت معنى أن تكون المرأة ذات عقل منفتح تستطيع أن تطَّلع على العلوم المختلفة ، وتتفوَّق وتصل إلى مكانة علمية رفيعة .

شرح حديث قطع المرأة الصلاة

قالت سارة : وهل إذا مرَّت د. بنت الشاطئ أمام عم سعيد الفراش وهو يصلي تقطع صلاته كالحمار والكلب ؟!!

ضحك الأستاذ نبيل : أنت مُصرَّة ألا نكمل المنهج الدراسي يا سارة .

- أجب حضرتك عن هذا السؤال ثمَّ أكمل .
- الإجابة طويلة ربما تستغرق الحصة كلها .
- حضرتك وعدتني أن تجيب عن هذا السؤال الحصة الماضية .
- أجبها يا أستاذ .. نحن نريد أن نعرف أيضاً الإجابة .
- هل فعلاً المرأة كلب وحمار ؟!!

- هناك حديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " يَقْطَعُ الصَّلاَةَ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ " [صحيح مسلم] .

– وهل هذا صحيح ؟

قال الأستاذ مازحاً : الحديث أم معناه ؟

– كلاهما يا أستاذ .

– الحديث صحيح السند ، وإن كان يحتاج لفقه ، قال مالك وأبو حنيفة والشافعي وجمهور العلماء من السلف والخلف : لا تبطل الصلاة بمرور شيء من هؤلاء ولا من غيرهم.

والمراد بالقطع نقص الصلاة لشغل القلب بهذه الأشياء وليس المراد بطلانها .

ذُكِرَ للسيدة عائشة ما يقطعُ الصلاةَ، الكلبُ والحمارُ والمرأةُ، فقالت : " شبهتمونا بالحُمُرِ والكلابِ، واللهِ لقد رأيتُ النبيَّ ﷺ يصلي، وإني على السريرِ بينَه وبين القبلةِ مُضْطَجِعةً، فتبدو لي الحاجةُ، فأكرَه أن أجلسَ، فأوذيَ النبيَّ ﷺ فأنْسلُّ من عندِ رجلَيه." [متفق عليه]

فتبين من هذا أن الصحيح عن أهل العلم أن الصلاة لا تبطل بمرور هذه الأشياء الثلاثة، وأن المقصود بالقطع: نقص الأجر بشغل القلب بمرور أحدها .

حكم المرور بين يدي المصلي

وينبغي أن نتنبه إلى أن أصل المرور بين يدي المصلي ، وتأثر صلاة المصلي بمن يمر من أمامه ، كائناً ما كان المار، رجلاً أو امرأة ، إنساناً أو حيواناً هذا كله ممنوع من حيث الأصل ؛ كما قال ﷺ في منع الجميع من هذا الفعل المذموم " لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ " قَالَ أَبُو النَّضْرِ : لاَ أَدْرِي أَقَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ شَهْرًا أَوْ سَنَةً "

[البخاري]

بل جاء في الحديث المتفق عليه : " أن أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ كان فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ يُصَلِّي إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنْ النَّاسِ ، فَأَرَادَ شَابٌّ مِنْ بَنِي أَبِي مُعَيْطٍ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ

يَدَيْهِ ، فَدَفَعَ أَبُو سَعِيدٍ فِي صَدْرِهِ ، فَنَظَرَ الشَّابُّ فَلَمْ يَجِدْ مَسَاغًا إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَعَادَ لِيَجْتَازَ ، فَدَفَعَهُ أَبُو سَعِيدٍ أَشَدَّ مِنْ الْأُولَى، فَنَالَ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ ثُمَّ دَخَلَ عَلَى مَرْوَانَ فَشَكَا إِلَيْهِ مَا لَقِيَ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ ، وَدَخَلَ أَبُو سَعِيدٍ خَلْفَهُ عَلَى مَرْوَانَ ، فَقَالَ : مَا لَكَ وَلِابْنِ أَخِيكَ ، يَا أَبَا سَعِيدٍ ؟

قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : " إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنْ النَّاسِ فَأَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيَدْفَعْهُ ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ " .

معناه يفعل فِعْلَ الشَّيْطَانِ ؛ لأَنَّ الشَّيْطان بعيد من الخيرِ وقبول السُّنة ومن الواضح هنا : أن هذا الحديث عام في كل من أراد أن يجتاز بين يدي المصلي ، وأن قصة أبي سعيد هذه : لا دخل للنساء فيها البتة !!

إذا كان المرور بين يدي المصلي ممنوعاً كله ، سواء في ذلك الرجل أو المرأة ، وإذا كان ذلك يؤثِّر أيضاً في صلاته ؛ فقد ذهب بعض أهل العلم في تأويل القطع المذكور في هذه الأحاديث، إلى أنه ليس المراد به إبطال الصلاة ، والزام إعادتها، وإنما المراد به القطع عن إكمالها والخشوع فيها بالاشتغال بها، والالتفات إليها .

ذلك أن المرأة تفتن ، والحمار ينهق ، والكلب يروِّع ، فيتشوش المتفكِّر في ذلك حتى تتقطع عليه الصلاة وتفسد ، فلما كانت هذه الأمور آيلة إلى القطع ، جعلها قاطعة .

بعد أن قال الأستاذ ذلك توجَّه إلى سارة قائلاً : ما رأيك يا سارة ؟

- الحديث صحيح كما قلت يا أستاذ والمسلمون يأخذونه على ظاهره ؟

- العيب ليس في الحديث إنما العيب في عدم فهمه ، يا بنتي ليس من الإنصاف ولا من العدل في شيء : أن يعمد الباحث ، أياً ما كان دينه ، ومذهبه، إلى نص منفرد ، مشتبه ، يحتمل من الدلالات ، ما لا علاقة له بموضوع نظره وبحثه ، ثم يجعله طعناً في دين كامل متكامل التشريعات والآداب ، كدين

الإسلام، متعامياً عن عشرات النصوص والأصول التي تكرِّم المرأة في ذلك الدين، بما لم يكرمها غيره من الأديان ولا الشرائع ولا القوانين .

نظرت سارة في كراستها وقالت : ولماذا لا تزوج المرأة نفسها إلا بولي ذكر ، ويجوز أن يتزوج عليها زوجها مثنى وثلاث ورباع وليس لها حق الاعتراض.. وإذا رفضت المرأة معاشرة زوجها باتت والملائكة تلعنها ؟

– هذه الأسئلة لا تكفيها حصة واحدة ما رأيك في أن نجعلها موضوع محاضرة الشهر؟

– ومتى ستعقد هذه المحاضرة يا أستاذ ؟

– بعد غد في مسرح المدرسة الحصة الرابعة .

– عندنا فيزياء في هذه الوقت .

– سأستئذن الأستاذ رمضان حتى يسمح لَكُنَّ بالحضور .

***